مقياس: نقد النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الأولى: مدخل إلى النقد الأدبي (المفهوم والوظيفة)

تمهيد:

الأدب في أبسط أطره النظرية فن للكلمة، التي اتخذها الإنسان أداة للتعبير عن الطبيعة والإنسان، وهو تصوير لشعوره وعقله، وحياته المادية والفكرية، والأدب صناعة للكلمة الجميلة، وهو كسائر الصناعات التي تحتاج أهل الاختصاص لتمييزها وتحديد قيمتها، تحت إطار التذوق؛ إذ احتاج منذ نشأته إلى تصور فكري يتصل به ويقوم على وجوده، ويضطلع بمهمة تذوقه وبيان قيمته؛ يطلق على هذا التصور مصطلح 'النقد الأدبي'.

1- مفهوم النقد الأدبي:

لم ترد كلمة (نقد) في القرآن الكريم، ولكنها وردت في الحديث النبوي الشريف ومعاجم اللغة، ومن معانيها:

النقد: خلاف النسيئة، ورد في الحديث الشريف أن: (زيد بن أرقم والبراء بن عازب كانا قد اشتريا فضة ونسيئة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهما: "أن ما كان بنقد فأجيزوه، وما كان بنسيئة فردوه"

ويقال النقدان: الذهب والفضة.

والنقد: تمييز صحيح الدراهم وإخراج الزيف منها.

والنقد من ناقدت فلانا؛ إذا ناقشته في الأمر.

والنقد بمعنى العيب؛ ورد ذلك في حديث أبي الدرداء الذي يقول فيه: (إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك)؛ أي: عبتهم واغتبتهم.

ولعل المعنى اللغوي الأول أنسب المعاني بالمراد من كلمة (نقد) في الاصطلاح الحديث، وفي اصطلاح أكثر المتقدمين، ففيه معنى الفحص والموازنة والتمييز والحكم.

وقد حاول 'قدامة بن جعفر' (ت337هـ) في كتابه (نقد الشعر) تحديد مفهوم النقد في مقدمة الكتاب؛ يقول: "ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام".

وإذا استعرضنا جملة الأخبار السابقة تبين لنا أن نقد الشعر وتمييزه قد أصبح واضح المعالم في القرن الثالث الهجري، وقد وقف النقاد عند مصطلح (نقد أدبي) محاولين تعريفه، واتفقت جميع هذه المحاولات في المعنى العام للنقد؛ وهو 'دراسة النصوص الإبداعية وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها، أو هو التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه".

والنقد الأدبي في أدق معانيه؛ هو فن دراسة الأساليب وتمييزها، وذلك على أن نفهم لفظة أسلوب بمعناها الواسع؛ وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء.

وقد أصبح النقد الأدبي في العصر الحديث نوعا من المعرفة، حافلا بأصول ونظريات وقواعد ومناهج، باتت تتطور وتنضج يوما بعد يوم عن طريق الممارسة والتطبيق، ونتيجة للتفاعل والتأثر، والأخذ من العلوم المختلفة والمعارف الإنسانية كالتاريخ وعلم اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة...

كما أنه يقوم على أصول وقواعد فنية تمكن الناقد من القراءة الموضوعية وتعليل الأحكام.

ويتم ذلك بالدراسة والتحليل، ويحتاج في بيان مواطن الجمال الخفية في النص إلى الذوق والإدراك والملاحظة الدقيقة؛ بتقليب النصوص على وجوهها المختلفة لكشف محتواها ومكوناتها وبواعثها والوقوف على سماتها وعوامل تفردها، ثم يقوم بالحكم عليها في ضوء ملاحظاته ومنطلقاته الفكرية وأسسه المعرفية.

2-علاقة النقد بالأدب:

يرتبط النقد الأدبي بالإبداع الأدبي ارتباطا وجوديا، وإن بدا أنه تال له؛ لأن النقد يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي، والمبدع يمعن النظر قبل غيره في نصه المنتج، وقد يكون هذا النظر بعد كل خطوة أو مرحلة، أو قبل إذاعته للناس، ومتى ما اطمأن إلى إبداعه يقدمه للمتلقي من غير أن يكشف أسراره أو مراحل تكوينه، أو كيفية ولادة فكرته أو تجربته.

ومن الناحية الزمنية الأدب أسبق إلى الوجود من النقد، وهذا يعني أن المبدع الأول أسبق إلى الوجود من الناقد الأول أيا كانت طبيعة هذا النقد؛ انطباعية تأثرية أم علمية دقيقة.

والأدب يتصل بالطبيعة اتصالا مباشرا، في حين يراها الناقد من خلال الأعمال الأدبية التي ينقدها، كما أن الأدب ذاتي من حيث إنه تعبير عما يحسه الأديب، وعما يجيش في صدره وفكره من عواطف وأفكار، أما النقد الأدبي فذاتي وموضوعي؛ فهو ذاتي من حيث تأثره بثقافة الناقد وذوقه ومزاجه، ووجهة نظره، وموضوعي من جهة أنه مقيد بنظريات وقواعد وأصول علمية.

3- وظيفة النقد الأدبي:

للنقد الأدبي مجموعة وظائف أهمها:

- دراسة العمل الأدبي وشرحه وتفسيره، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية، وتقويمه وتقييمه فنيا وموضوعيا.

- تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وتحديد مدى ما أضافه إلى التراث الأدبي، ومعرفة مواطن الجدة فيه.

- تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط، ومدى تأثيره فيه، ومدى استجابته للبيئة والعصر الذي ولد فيه.

- لا يقف النقد الأدبي عند بيان المساوئ والمحاسن وإنما يتعدى ذلك إلى توجيه الأدباء واقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع من آفاقه.

- يساعد القارئ على فهم الأدب، ويعينه على تذوقه، ويفتح له مجالا أن يتواصل مع النص الأدبي ويتذوقه، ويكتشف جوانب الإبداع فيه، والإضافة إليه من خلال قراءاته المتعددة.

مراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب (مادة 'ن ق د').

2- قدامة بن جعفر، نقد الشعر.

3- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي.

4- فائق مصطفى وعبد الرضا علي، النقد الأدبي الحديث 'منطلقات وتطبيقات'.